الكذبة ...

لاقصصي الروسي باسليون روسانوف

بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالساً إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب في غير نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكاً بيده غطاء محبرة قد كان رفعه عنها بحركة غير إرادية منه ، وبصره مثبت في نقطة أمامه يحدّق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقةً في صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها في الدار . . . لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سيرجيفانا » خرجت بغير أن تترك وراءها خبرا

وكانت هذه هي المرة الأولى التي لم تنتظره فيها منذ أن تعارفا حتى اليوم لقد كان أخبرها بالتلفون أنه ربما استطاع لقياها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه استطاع أن يتحرر بغتة طوال هذا المساء ، إذ كانت زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية عشرة وهو ما يزال منتظراً ؛ وأخيراً أزفت الساعة الأولى ولمّا تأتِ ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به الرغبة في البقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيراً وقبيل الساعة الثانية دُقّ جرس الباب ففُتح لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هي إلا أن فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت يصلح به هيأة وجهه للقياها

كان الثلج قد غطى كتفَي معطفها وكتفيه ، وكان خداها قد تورّدا من لفح الرياح المحملة بالثلج ، وعيناها السوداوان مشرقتين بوميض من الغضب والهياج . كان أول ما ابتدرته به من الكلام قولها :

— أهلاً بك ، أنت هنا ؟

وكانت في صوتها نغمةُ فرحٍ ودَهش بيّنة التكلف . ثم استأنفت قائلة :

— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجيء !

وكانت تقول ذلك وهي تلقي على الغرفة نظرة تفقّد فاحصة ، فأجابها :

— كلا ، لقد قلت إني ربما جئت ولكني لم أكن واثقاً تماماً من هذا . قال هذا وهو يعيد غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف قبالة صاحبته

— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت فلن تظل أكثر من ساعة

— حَسِبْتُ أن لقاء ساعة عندك تفضل الخروج مساء ... إلى حيث لا أدري ...

فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ، ونزعت قبعتها فَنَفَضتْ الثلج الذي كان يغطيها على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذي كان قد تراكم على كُمَّي معطفها في أناة ظاهرة واعتناء . فهز صاحبها كتفيه وبدأ يمينها على خلع ملابس الخروج التي كانت ارتدتها محتفظاً بصمته ، ذلك

الصمت الذى كثيراً ما يشاهد فى مناظر الشجار والمنازعات ، ولم يخفَ ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها — فجأة — فقالت تكلمه فى صوت لطيف :

— أجائز أنك لا تصدقنى ؟ واقتربت من حبيبها بجوٍ تُشمّ فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذى كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعتْ يديها — ولم يكن ليخفى عليها جمالها — على كتفيه ، غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تُفسِّرُ عليه نفسها ، إنه متكلّف أيضاً ! ثم قالت له :

— وفى استطاعتى أن أعدد لك كل حركاتى هذا المساء : كان أحد أصدقائى ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت عندها بطاقة دخول زائدة فاستدعيانى معهما إلى الذهاب ففعلت، وذلك كل شىء تمّ

— فمجيئك من الملهى إذاً فى هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسهما — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح وضع شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة عجلى فعل العائد إلى داره يجد فيه ضيفاً غير منتظر ليطمئن على أنه ليس فى المكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء :

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفى ويتتبعها فى كل ما تصنع ، أما هى فكانت تخفى شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتتظاهر بهيأة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة ! !

... قالت : « وقد خاب ارتقابى مقدمك عند المساء تماماً . » ، ثم جلست على كرسى كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« . . . فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألمْ ترَ هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان ما يزال واقفاً فى مكانه ، وعلى وجهه سيماء من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تتم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التى كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والاصطناع ؛ وكان الممثلون يقومون بأدوارهم وما فى نفوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هناك فتاة ممثلة جودت فى دور لها متوسط »

وهنالك أدار صاحبها عينيه نحوها وقال لها :

— إنه ليس ثمة سبب يدعوني إلى الشك فى أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزى ، إن شئت أريتك

البطاقة » ، وفتحت حقيبته يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان فى حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلاً :

— إنى لا أدرى ما هذا الذى حدث على الضبط ولكنى لحظت من زمن يسير أنّ علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعنى بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدرى تماماً ولكن هنالك شيئاً مما أقول . على أنى أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألاّ تضطرى الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ودّ قوية ، وفى أمثال هذه المواطف التى بيننا لا يستحسن الكذب أبداً . فلا تحدثينى الليلة بشىء ، ودعى ذلك إلى الغد . خابرينى بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شىء . إن كلاً منا حرّ مطلق التصرف فى نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس . . . لنفترق ! »

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

... كان يسير إلى داره مستعيداً فى ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تحدثه عن الملهى حديث المضيف إلى زائر طرقه ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذباً ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثاً عاماً مبهماً بالطريقة التى يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها المعين لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملاهى عادة !

أما البطاقة ... فمن يدرى ؟ لعلها ابتاعتها ... وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقاً وشاهدت الفصل الأول . ثم ... ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه

فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليها وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيا لها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخلده أن يمزق قطعة الورق البغيضة تلك . غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ...

... إنها حقاً كذبة إنسان سفيق الوجه ! فيا لها من زلة ! إنها كفيلة بأن تخجل الإنسان من نفسه ...

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبابيك طابقه أنواراً ، كأن زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً ففى استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه ... غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه الآن إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكراً فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة فى ارتقاب وحذر فى حين أن زوجه كانت خارجة من غرفة النوم مسرعة وهى تشد وسطها بحزام فستانها البيتى ؛ فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة فى استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد ظللت فى الدار طول المساء هذا ؛ ذهبت إلى بعض الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة ثم عدت وفى أملى أن أقضى هذا المساء معك . . .

فأجابها :

— غير أنى كنت أحسب أنك ستكونين خارج البيت الليلة ، وذلك الذى دعانى إلى الذهاب إلى الملهى ! ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائي فى الدار وحدى !

— ولكن لماذا أراك متأخراً للآن ؟

— أوه ... إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء فى أعمالهم . . . لقد وقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !

ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة بحركة تدل على تعبه ؛ ثم استطرد قائلاً :

« وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والاصطناع فى كل شىء من مظاهرها . وخير ما كان فى الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت فى دور لها متوسط ... ولو دريتُ أنك ستكونين فى الدار الليلة ، إذاً لتركت الرواية بعد فصلها الأول ! ..

(بغداد) فتحى شهاب السعيدى

الفصول والغايات

صنجزة الشاعر الطائب

أبى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً